علاقة اللغة العربية بتحقيق المخطوطات

د. إبراهيم بن حسن بن سليمان البلوشي

خطة البحث

المبحث الأول :تمهيد في التعريف بعلوم اللغة العربية ،والتعريف بالمخطوطات وأهميتها

ويتضمن مطلبين : المطلب الأول :علوم اللغة العربية (علم النحو نموذجا)
المطلب الثاني : المخطوطات وأهميتها

المبحث الثاني : التعريف بتحقيق المخطوطات وصفات المحقق الناجح
ويتضمن مطلبين : المطلب الأول : تحقيق المخطوطات وصفات المحقق الناجح.
المطلب الثاني : خطوات التحقيق .

المبحث الثالث :أثر اللحن اللغوي في تحقيق المخطوطات

ويتضمن مطلبين :المطلب الأول : في التصحيف اللغوي ونماذج من التصحيف في نصوص التراث .
المطلب الثاني : في التحريف اللغوي ونماذج من التحريف في نصوص التراث .

توصيات

المبحث الأول :تمهيد في التعريف بعلوم اللغة العربية ،والتعريف بالمخطوطات وأهميتها

ويتضمن مطلبين : المطلب الأول :علوم اللغة العربية (علم النحو نموذجا)
المطلب الثانى : المخطوطات وأهميتها

المطلب الأول :علوم اللغة العربية (علم النحو نموذجا)

إن علوم اللغة العربية تعتبر علوم آلة يحتاج إليها الباحث اضطراراً في العلوم الإنسانية ، فإن الفقيه الأصولي لا يبلغ مرتبة الاجتهاد ما لم تتوافر عنده علوم اللغة العربية والتي تبلغ اثنا عشر علماً وهي المجموعة في البيتين الآتيين :-

نحوٌ ، وصرفٌ ، عروضٌ ، ثم قافيةٌ * وبعدها : لغةٌ ، قرضٌ ، وإنشاءُ

خط ، بيانٌ ، معانٍ مع محاضرة * والاشتقاقُ لها الآدابُ أسماءُ

وأجلُّ علم ضمن علوم اللغة العربية وأهمها : **علم النحو**.
وقد جرت عادة العلماء أن يقدموا للتعريف بأي فن من فنون العلم بعشرة مبادئ ، وهي المجموعة في قول الناظم :-

إن مبادئ كل فن عشرة * الحد والموضوع ثم الثمرة

وفضله ونسبة والواضع * والاسم الاستمداد حكم الشارع

مسائل والبعض بالبعض اكتفى * ومن درى الجميع حاز الشرفا

مبادئ علم النحو :

1- حد علم النحو (تعريفه) : - علم النحو هو العلم بالقواعد التي يُعرف بها أحكام أواخر الكلمات العربية إذا ركبت ، من الإعراب والبناء.

2- موضوع علم النحو : أحوال الكلمات العربية إفراداً وتركيباً وبيان أحوالها. **فهو يتضمن ثلاثة أصول :-**

أ :- معرفة أنواع الكلام مثل معرفة الأسماء والأفعال والحروف.
ب :- معرفة قواعد تركيب الكلام مثل أحوال الجمل.
ج :- معرفة إعراب الكلام بعد التركيب ، مثل معرفة أحوال كل كلمة وما يحدث عليها من تغيير.

3- ثمرة علم النحو :
تعلم النحو يصون اللسان من الوقوع في الخطأ واللحن ، ويسهل فهم كلام الله في القرآن المنزل بلسان عربي مبين ، وفهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى.

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي : سمعت أيوب السختياني يقول :
(عامة من تزندق بالعراق لجهلهم بالعربية).

وقال الإمام الزهري : (إنما أخطأ في كثير من تأويل القرآن لجهلهم بلغة العرب).

وقال الحسن البصري عن سبب ضلال البعض : (إنما أهلكتهم العجمة).

4- فضل علم النحو :
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (تعلموا العربية فإنها تثبت العقل وتزيد في المروءة).

وقال الإمام الشافعي مبيناً أهمية تعلم اللغة العربية في كتابه الرسالة :
(فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده ، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله ، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير ، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك).
وقال الشعبي رحمه الله : (النحو في العلم كالملح في الطعام ، لا يستغنى عنه).

وقد أكد جملة من العلماء ، منهم ابن تيمية أن من علامات الإيمان : حب العربية ، والدفاع عنها ، وفي ذلك يقول الزبيدي : (من بغض اللسان العربي ، أداه بغضة إلى بغض القرآن ، وسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وذلك كفر صُراح ، وهو الشقاء الباقي).

قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما : (إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر ، فإنه ديوان العرب) أخرجه الحاكم في المستدرك (499/2).

5- نسبة علم النحو إلى العلوم الأخرى أنه من أشرف العلوم ؛ لأن شرف العلم يكون بشرف المعلوم ، والمعلوم هو كلام الله ورسوله.

6- واضع علم النحو كقواعد وأصول هو أبو الأسود الدؤلي ، قيل بأمر من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقيل : هو بنفسه ابتدأ التصنيف فيه من غير أمر أحد ؛ حيث أن ابنته قالت له : ما أحسنُ الأسماء - بالضم - ، فقال : نجومُها ، فقالت له : لم أرد أي شيء منها أحسن ، فقال : قولي إذاً : ما أحسنَ السماء - بالنصب - ، فدفعه ذلك إلى التفكير في وضع قواعد النحو ، وابتدأ بباب التعجب ، ثم توالى العلماء في الاستزادة من القواعد والأصول في علم النحو.

7- اسمه : علم النحو. قيل لأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لأبي الأسود : (وانحُ نحوَ ذلك).

8- استمداد علم النحو من نصوص القرآن ، وأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الثابتة ، وكلام العرب وأشعارهم قبل الإسلام وبعده.

9- حكم الشارع في تعلم النحو :
إن تعلم أصول وقواعد علم النحو من فروض الكفايات ، إذا تعلمه البعض سقط الاثم من الآخرين.
وقد توارد السلف الصالح على الحث على تعلم اللغة العربية ، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، (عليكم بالتفقه بالدين ، والتفهم بالعربية ، وحسن العبارة).

ويقول صديق حسن خان (ومعرفتها -العربية- ضرورية على أهل الشريعة...).

وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يؤدب أبناءه على اللحن في الكلام ، قال نافع مولى ابن عمر : (كان ابن عمر يضرب ولده على اللحن ، كما يضربهم على تعلم القرآن.).

وكذلك كان عمر بن عبدالعزيز يفعل.

وقال الخليل بن أحمد : سمعت أيوب السختياني يحدث بحديث ، فلحن فيه ، فقال : أستغفر الله. فعد اللحن في الكلام ذنباً.

10- مسائل علم النحو هي المتضمنة في أبواب علم النحو كباب الكلام والمفعولات والضمائر والنواصب والجوازم والشرط والبدل والاستثناء والنعت والتعجب والإعراب ونحو ذلك.

فقد ألف النحاة الأوائل نوعين من المصنفات ، النوع الأول : مصنفات في النحو العلمي ، والنوع الثاني : مصنفات في النحو التعليمي أو التربوي وتهم المتبدئين ، مثل متن الآجرومية ومتن ملحة الإعراب.

المطلب الثاني : المخطوطات وأهميتها

تعريف المخطوط وأهميته

المخطوط : وثيقة مكتوبة بخط اليد

علم المخطوطات : هو العلم الخاص بالدراسة الفيلولوجية والكوديكولوجية للكتب غير المطبوعة .

- والمراد بالدراسة الفيلولوجية هي دراسة متون المخطوطات وما فيها من مادة علمية (تحقيق النصوص) .
- والمراد بالدراسة الكوديكولوجية هي دراسة الشكل المادي للمخطوطات (حبر ، جلد ، الورق) .

أهمية المخطوطات :-

- إن المخطوط أهم وأفضل موروث ؛ لأنه يحوى العلم الذي هو موروث الأنبياء ؛ وموروث الأسلاف الصالحين .

فالمخطوط صلة بين الخلف والسلف في دينهم ولغتهم وتاريخهم وعلومهم .

- إن أصل هذه الكتب المطبوعة في الساحة إنما هي مأخوذة من أصول مخطوطة .

- أنه لابد من العناية بعلم المخطوطات ؛ لأن هنالك الكثير والكثير من المخطوطات في العالم لم تجد الطريق إلى الآن للطباعة والخروج إلى النور .

وقد بقي بعضها وضاع الكثير منها بسبب الظروف الطبيعية كالحرق أو الغرق أو نالت منها الرمة أو نوع الحبر ، وكذلك لظروف سياسية أو دينية وغيرها ، أو أن تتعرض للسلب والنهب ، أو لقلة الوعي بأهميتها .

وذلك مثل مكتبة بغداد التي قضى عليها التتار ، ومكتبة نور الدين السالمي في الرستاق التي احترقت .

- أنه علم جدير بالاهتمام كبقية العلوم ، وكم من شهادة علمية أعطيت مقابل تحقيق مخطوط أو بعض منه . وأسست في الغرب كراسي الأستاذية في الجامعات لدراسة التراث العربي الإسلامي وأثره على الحضارة العالمية .
- المخطوطات تظهر فن الناسخين العرب وتنظيمهم ومقدمات الكتب لم تعرف إلا عن المسلمين .
- كما أن تاريخ المخطوط العربي أقدم من تاريخ المخطوط الغربي .
-

إن خدمة المخطوط بالتحقيق والتصحيح فيه مراجعة وتطبيق للقواعد النحوية والصرفية والإملائية والترقيم ، كما أن المحقق يكتسب علماً ومعرفة بمادة المخطوط .

المبحث الثاني : التعريف بتحقيق المخطوطات وصفات المحقق الناجح

ويتضمن مطلبين : المطلب الأول : تحقيق المخطوطات وصفات المحقق الناجح.

المطلب الثاني : خطوات التحقيق .

المطلب الأول : تحقيق المخطوطات وصفات المحقق الناجح.

التحقيق لغة مصدر من الفعل حقق يحقق تحقيقاً

ويعنى وأصله : إحكام الشيء وصحته والتيقن منه .

ومنه قول العرب : ثوب محقق إذا كان محكم النسيج

يقول الشاعر :

تَسَـــرْبلْ جلـد وجه أبيك إنـــا	كفينـاك المحقـقـــة الـرقـــاقـــا

وتعريفه اصطلاحاً : (هو إخراج الكتاب على أسس صحيحة محكمة من التحقيق العلمي في عنوانه ، واسم مؤلفه ، ونسبته إليه ، وتحريره من التصحيف والتحريف ، والخطأ ، والنقص ، والزيادة) ، وهذا يؤكد الدور الأساسي للغة العربية في عملية تحقيق المخطوط تحقيقا علميا صحيحا.

وبعضهم يعرفه بقوله : (هو إخراج المخطوط بصورة مطابقة لأصل المؤلف ، أو الأصل الصحيح الموثوق إذا فقدت نسخة المؤلف) .

صفات المحقق الناجح :

1. الإحساس بقيمة التراث العلمي والفكري وإدراك أهميته .
2. الحب والتعلق بالتراث المخطوط وتوثيق صلته به .
3. الخبرة والتمرس بتحقيق المخطوطات وفهم مصطلحاتها وإدراك إشكالياتها .
4. العلم والدراسة بموضوع الكتاب المراد تحقيقه .
5. الأمانة العلمية في نقل النص وعدم التحريف ولا التزوير .
6. بذل الجهد والصبر والأناة.
7. **الإلمام الواسع باللغة العربية وأساليبها ومفرداتها وعلومها ،وخاصة علم النحو والإعراب وعلم الإملاء والترقيم .**
8. سعة الاطلاع على كتب التراث ومصادره في العالم ، والصلة بالجهات المعنية بالمخطوطات .
9. وكلما كان المحقق أقرب إلى بلد المؤلف كان أفضل ، فقد صحف أحد المحققين اسم قريات إلى قربات لأنه لا يعرف مناطق عمان ، وقام بتخطئة ناسخ المخطوط الذي كتب الاسم صحيحا .

المطلب الثاني : خطوات التحقيق .

خطوات التحقيق هي :-

أولاً : اختيار المخطوطة فيكون في علم نافع ومكتملاً ولم يخدم من قبل والمخطوطات على درجات .

1. أفضلها ما كان بخط مؤلفه وتسمى بالنسخة الأم .
2. ويليها في المرتبة ما قُرِأ على المؤلف وأثبت المؤلف بخطه أنها قُرِأت عليه .
3. ويليها في المرتبة ما نُسخ عن نسخة المؤلف (النسخة الأم) أو قوبلت عليها .
4. ثم ما نسخ في عصر المؤلف وعليها سماعات علماء .
5. ثم ما نسخ في عصر المؤلف وليس عليها سماعات علماء .
6. ثم ما نسخ بعد عصر المؤلف ونسخه أفضل مما كتبه من لم يكن معروفاً بعلم .

ثانياً : جمع نسخ المخطوطة للمقارنة بينها مع الاعتماد على أفضل وأصح نسخة .

ثالثاً : فحص النسخ والتحقيق من صحة معلوماتها وذلك بالتحقيق من :-

1. الورق وقدمه .
2. الحبر ؛ لأن لكل زمن نوع من الحبر وبعض الحبر لم يكن موجوداً في بعض الأزمنة .
3. دراسة الخط وتمييز ناسخه .
4. التحقيق من عنوان الكتاب ، فقد يكون العنوان غير صحيح وإنما هو وصف للكتاب أو تشابه ويخطئ الناسخ مثل تسمية جامع ابن جعفر بجامع الأديان وجامع الدماء وجامع الأحكام والصواب أن هذه أسماء بعض أجزاء جامع ابن جعفر وليس اسما للكتاب.
5. التحقيق من اسم المؤلف فبعضهم طبع كتاب تسهيل المنافع باسم كتاب الأزرق خطأ ، ونسب الكتاب إلى محمد بن ناصر بن سليمان والحقيقة أنه ناسخ والمؤلف الحقيقي هو إبراهيم بن عبدالرحمن الأزرق .
6. التحقيق من الناسخ وسنة النسخ .

رابعاً : تحقيق متن المخطوطة وهو أمر صعب غير يسير فلابد من الخبرة وذلك :-

1. بقراءة المخطوطة قراءة متكررة .
2. معرفة أسلوب المؤلف وبالرجوع إلى منهجية المؤلف في مؤلفاته الأخرى .
3. العلم بالمادة العلمية للمخطوط وفهم مفرداته ومصطلحاته (والأصل أصحب) .
4. الرجوع إلى الكتب في العلم المراد تحقيق مخطوطه .
5. ترجيح روايات النسخ المخطوطة .
6. **تصحيح الأخطاء الإملائية والتصحيف والتحريف أو أخطاء المؤلف نفسه وخطأ الناسخ .**
7. الزيادات والمحذوفات (لانطماس كتابة أو سقوط الورق) ، وفي بعض الأحيان تظهر الزيادة بقول النساخ (ومن غيره) أو (رجع) كما هو الحال في جامع ابن جعفر .
8. **يشكَّل ما يُشكِل وكما قيل (إنما يُشكَّل ما يُشكِل) وحكى بعض أهل العلم أن الأفضل أن يشكَّل ما يُشكِل وما لا يُشكِل لفائدة غير المتبحر .**
9. التعليق في المسألة وتخريج الآيات والأحاديث والآثار والتعريف بالبلدان وتوثيق المعلومات من مصادر أخرى .

10. تبويب الكتاب المخطوط أو تقسيمه إلى فصول وعناوين ويجعلها بين معكوفتين [ ] ليعلم أنه من صنع المحقق.
11. فهرسة المخطوط .

دراسة المخطوط (المؤلف ، الكتاب) الملخص النهائي .

وقد سألت أحد أعلام التحقيق في زمننا ، وهو الأستاذ شعيب الأرناؤوط عن عملية التحقيق ، فوصفه بأنه ليس سهلا ، وأن عل المحقق أن يكرر قراءة المخطوطة ويبني على الشك في الكلمات حتى يتبين له اليقين في صحة الكلمة في المخطوطة رسما ومعنى ،فالتحقيق وسوسة كما أفاد حفظه الله .

المبحث الثالث :أثر اللحن اللغوي في تحقيق المخطوطات

المطلب الأول : في التصحيف اللغوي ونماذج من التصحيف في نصوص التراث .
المطلب الثاني : في التحريف اللغوي ونماذج من التحريف في نصوص التراث .

المطلب الأول : في التصحيف اللغوي ونماذج من التصحيف في نصوص التراث .

من البلاء أن يتعرض طالب العلم الذي لا يتقن النحو ولا الإملاء ، لتحقيق مخطوطات الأحاديث ونصوص الشرع من غير اتقان لقواعد الإعراب ولا قواعد التحقيق ، مما يؤدي إلى الخلط في الفهم كما قال الشاعر :-

وكـم مـن عائـب قـولاً صـحيحاً * وآفتـــه مـــن الفهـــم الســـقيم

وقال أبو مسهر : سألت سعيد بن عبدالعزيز التنوخي عن الحديث إذا سمعه ملحوناً ، فقال : (اللحن يفسد الحديث ، وذلك أنه يغير معناه ، ولم يلق أحد من العلماء ، إلا مقوم اللسان).

وقال حماد بن سلمة : (مثل الذي يكتب الحديث ولا يعرف النحو : مثل الحمار عليه مخلاته ولا شعير فيها).

وقال الأصمعي : (أخوف من أخاف على طالب العلم ، إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة ، قول النبي (صلى الله عليه وسلم) :
"من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**"**.

قال ابن هبيرة : (الذي يلحن يحمله لحنه على أن يدخل في كتاب الله ما ليس فيه ، ويخرج منه ما هو فيه ، قال : قلت : صدق الأمير وبر).

قال رجل للحسن البصري : ما تقول في رجل مات وترك أبيه وأخيه ؛ فقال الحسن : (ترك أباه وأخاه) ، فقال له : فما لأباه وأخاه ؟ فقال له الحسن : (إنما هو (فما لأبيه وأخيه) فقال الرجل للحسن : يا أبا سعيد ، ما أشد خلافك عليَّ ، فقال الحسن : أنت أشد خلافاً علي ، أدعوك إلى الصواب ، وتدعوني إلى الخطأ!).

قال الجاحظ في وصف من لا يحسن ضبط الإملاء في الكتابة العربية :

حمـــار فـــي الكتابـــة يـــدعيها * كـــدعوى آل حـــرب مـــن زيـــاد

فـدع عنـك الكتابـة لسـت منهـا * ولـــو غرقـــت ثوبـــك بالمـــداد

فإن اللحن في تحقيق المخطوطات ينشأ عنها الخطأ في فهم المعلومات ، وقد يجري العمل وفق الخطأ اللغوي ، مما قد يؤدي إلى الاختلاف سواءً كان الخطأ الكتابي تصحيفاً أم تحريفاً وتزويراً.

والفرق بين التصحيف والتحريف هو أن التصحيف قد يكون غير متعمد ، وأما التحريف فغالباً يكون بتغيير الكلام عمداً.

وقد عرَّف الخليل بن أحمد الفراهيدي التصحيف بقوله : (إن الصحفي الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف).

فالذي يقع في التصحيف مخطئ لا خاطئ ؛ لأنه غير متعمد ، فلا يأثم لمجرد الخطأ غير المتعمد ، لكن أثر التصحيف خطير ، وخصوصاً إذا وقع في النصوص الشرعية كالكتاب والسنة ، وكلام سلف الأمة من الصحابة والتابعين ؛ لأنهم حجة خاصة مع عدم وجود المخالف لهم من بينهم.

قال التابعي أبو العالية : (كان ابن عباس يعلمنا اللحن) أي يعلمنا الخطأ لنجتنبه. وفي هذا المقام أسرد أمثلة على التصحيف اللغوي ، حتى يتبين لنا مدى أثر اللحن الكتابي :

- فقد يقع التصحيف في متن الكلام ، وذلك مثل رواية عبدالله بن لهيعة لحديث النبي (صلى الله عليه وسلم) :
(احتجر في المسجد) فرواها (احتجم في المسجد).

- وقد يقع التصحيف بسبب اشتباه الخط على بصر القارئ ؛ إما لرداءة الخط ، أو عدم نقطه ، وذلك مثل تصحيف أبي بكر الصولي لحديث النبي (صلى الله عليه وسلم) : "من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال" ، فصحفها بقوله :
"وأتبعه شيئاً من شوال".

- وقد يقع التصحيف بسبب الخطأ في الفهم لا الخط ، فقد يقرأ الناسخ كلاماً ، ثم ينقله بفهمه إلى عبارة أخرى أو يخطه بطريقة محتملة لأكثر من معنى عند قراءته.
وذلك مثل الخلاف في معنى حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث مرفوعاً إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) : "زادك الله حرصاً ولا تعد". فضبطها بعضهم وقرأها : "ولا تَعْدُ" . أي : لا ترجع إلى مثل هذا الفعل.

وكذلك الخلاف في حديث عبدالله بن عباس مرفوعاً إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) : "نور ابى أراه" ؛ حيث أن بعضهم ضبطها "إني" أي تأكيد للرؤية في ليلة المعراج. وضبطها آخرون "أنَّى" أي : لا أستطيع رؤيته في ليلة المعراج ، وهو الصواب.

- ومن أمثلة التصحيف أيضاً : قراءة عثمان بن أبي شيبة رحمه الله : "جعل السفينة في رجل أخيه" بدلاً من "رحل أخيه".

- وأيضاً قرأ بعضهم : "آلم ، تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل".

- وكان حمزة الزيات يتلو القرآن من المصحف فقرأ يوماً وأبوه يسمع :
"الم ، ذلك الكتاب لا زيت فيه"
فقال أبوه : "دع المصحف ، وتلقن من أفواه الرجال".

- وقد وجدت في مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي مخطوطة بعنوان (رحمة الأمة في اختلاف الأمة) ووجدت اسم المؤلف : محمد بن عبدالرحمن العُماني ، والصواب أنه تصحيف والصحيح هو : (محمد بن عبدالرحمن العُثماني) ووجدت ذلك في مخطوطتين من الكتاب ذاته.

ومن طرائف التصحيف أنه أسر أميرُ مجموعة أسارى ، ثم أمر الكاتب أن يكتب لرئيس الأجناد (احصوهم عدداً) ، فوقعت نقطة من محبرة الكاتب على حرف الحاء ، فصارت خاءاً (اخصوهم عدداً) ، وتم تنفيذ الأمر المُصَحَّف.

ومن طرائف التصحيف أيضاً : أن أحد طلاب العلم دخل مسجداً في قرية ، فوجد بين يدي كل مصل من أهل القرية سكينة وفأراً ، فعجب من ذلك ، فسأل إمام المسجد ، فقال بأنه يقرأ عليهم كل يوم في كتاب من كتب الحديث النبوي ، وأنه قرأ حديثاً مكتوباً فيها "إذا أتيتم الصلاة فأتوها بسكَّينة وفار"
والحقيقة أن هنالك تصحيف في المخطوط الذي بين يديه ، والصحيح "فأتوها بسَكِينةٍ ووقار".

وكما قلنا بأن التصحيف يقع خطأً بغير عمد ، فلذا وقع فيه كثير من الفضلاء والعلماء ، قال الإمام أحمد (ومن يعرى عن الخطأ والتصحيف!).

وقد يقع التصحيف في المعنى دون اللفظ ومصله ما وراه أُبي بن كعب مرفوعاً إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) : "خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالمهاجرة ، فأتى بوضوء فتوضأ ، فصلى بنا الظهر والعصر ، وبين يديه عَنَزَة ، والمرأة والحمار يمرون من ورائها"
أخرجه البخاري.

فقد صحفه الإمام أبو موسى العَنَزي ؛ حيث قال : نحن قوم لنا شرف ، نحن من عَنَزة ، صلى إلينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، يريد أن النبي (صلى الله عليه وسلم) صلى إلى قبيلتهم ، وإنما (العَنَزَة) هنا الحربة التي تنصب بين يديه عليه السلام.

وأعجب من ذلك أن أعرابياً زعم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) صلى إلى شاة (عَنْزَة).

ومن أمثلة التصحيف في المعنى أن رجلاً سمع خطيباً على المنبر يذكر حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) : "لا يدخل الجنة قتَّات" ، فبكى الرجل ، وقال : ما الذي أصنع ، وليس لي حرفة سوى بيع (القت) ، يعنى الذي يعلف الدواب.
بينما القتات في الحديث هو النمام.

- وسمع أعرابي إماماً يقرأ : "ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا" بفتح تاء "تَنكحوا" فقال : سبحان الله ، هذا قبل الإسلام قبيح ، فكيف بعده ، فقيل له : إنه لحن ، والقراءة "ولا تُنكحوا" بضم التاء فقال : قبحه الله لا تجعلوه بعدها إماماً ، فإنه يُحلُّ ما حرم الله).

وللأسف فإن لحن الكتابة طال عناوين بعض المصنفات المشهورة فكثيراً ما نرى مطابع قامت بطباعة كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين بعنوان (أعلام الموقعين) وبينهما فرق في المعنى والأصح إعلام الموقعين أي ابلاغهم وتنبيههم والمراد بالموقعين هم المفتين في الأحكام الشرعية.

وكثير من الكتَّاب يخلطون في لقب ابن قيم الجوزية فيلقبونه ابن الجَوزية أو ابن القيم الجوزية ، بينما المراد بقيم الجوزية هو والده الذي كان مديراً (قيماً) على المدرسة الجوزية بدمشق ، أما ابن الجوزي ، فهو لقب عالم آخر مشهور وهو عبدالرحمن بن علي المتوفى سنة (597 هـ).

وقد يقع التصحيف بسبب عدم علم محققي كتب التراث المخطوط بمسيمات الأماكن أو المصطلحات الخاصة بغير بلدهم.
فمن ذلك أن الدكتور حسين نصار حقق ديوان أبو الصوفي العُماني فصحَّف اسم (قريات) إلى (قربات) ، وصحَّف اسم منقطة (السيفة) إلى (السنعة).
حقق الدكتور حسن محمد النابودة (كتاب كشف الغمة) ،تأليف سرحان بن سعيد الازكوي ،
وأورد في النص المحقق (263/1) : (فخرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم السبت لاثنتي عشرة خلت من رمضان ، وقيل لثلاث خلون منه على رأس تسع عشر من الهجرة) ا.هـ
وهذا خطأ واضح ، حيث أن النبي (صلى الله عليه وسلم) توفي في العام الحادي عشر من الهجرة بينما غزوة بدر وقعت في السنة الثانية من الهجرة .
وحقَّق الدكتور حسن النابودة الصحيفة القحطانية ، فسمى عبدالله بن مدَّاد بعبدالله بن مراد ، وصحَّف أرض السر بالظاهرة إلى أرض الشر ، إلى غير ذلك من الملاحظات اللغوية التي لا تخلو منها كتاب ، فقد أبى الله العصمة إلا لكتابة العزيز ، ومع ذلك وقعت بعض المطابع في تصحيف آيات وتغيير مواضعها بسبب عدم الدقة في المراجعة كما وقع ذلك في طبعة
(دار مصحف افريقيا) ولكنهم تداركوا الخطأ واكتشفوا التصحيف مبكراً وسحبوا النسخ والله المستعان.
وقد وكلت وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان طباعة كتاب بعنوان (هيميان الزاد) وذلك لإحدى دور الطبلعة والنشر بمصر ، فطبعت الكتاب وأرسلته إلى عمان مع تصحيف العنوان إلى (هيميان الزار) فتم الاعتراض على هذا التصحيف ورده ؛لأن الزار في لهجة العمانيين يطلق على طقوس الاستعانة بالجن لشفاء المرضى ونحو ذلك مع دق الطبول ، بينما كتاب الهيميان متعلق بتفسير القرآن الكريم .

المطلب الثاني : في التحريف اللغوي ونماذج من التحريف في نصوص التراث .
التحريف هو: تغيير الكلام من موضعه في مبناه أو معناه حتى يظن أن حق .
التزوير : اصطلاحاً : هو إحداث تغيير في الوثيقة أو المخطوطة عن طريق الكشط أو الطمس أو المحو .
وبعبارة أسهل نقول : إن التزوير هو تغيير الحقيقة .

وأما الانتحال : فيقال : نحل الكتاب إذا ادعى نسبة تأليفه إلى نفسه ؛ وفي الحقيقة هو لغيره .

وكل من التحريف والتزوير والانتحال في المخطوطات محرم شرعاً وعرفاً وأدباً .

فقد ذم الله تعالى أهل الكتاب الذين يحرفون الكلم عن مواضعه يقول الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد : (أجمع أهل الأرض على اختلاف مللهم , وتشعب طوائفهم ومذاهبهم , على تحريم قصد التحريف والتغيير والتبديل) .

أصناف التزوير والانتحال :

هنالك صنفان من التزييف هما :-

أ) تغيير الحقيقة وتزييفها أثناء النسخ في مادة الكتاب إما تزييفاً كلياً أو تزييفاً جزئياً .

كأن يقوم الناسخ بإثبات تاريخ الانتهاء من نسخ المخطوطة التي ينقل منها دون إثبات تاريخ لنسخته هو مع وجود الفرق الزمني بين النسختين .

أو بأن يثبت قول مؤلف الكتاب (كتبه فلان) ليوهم بأنها نسخة المؤلف ولا يذكر الناسخ أسمه ولا تاريخه .

أو بأن يقوم شخص بإملاء بيانات كاذبة على الناسخ فيثبتها الناسخ عن حسن نية .

ب) تغيير الحقيقة وتزييفها في شكل الكتاب وجلده وورقه .

أسباب التحريف والتزوير والانتحال :-

1. قد يكون السبب مادياً لترويج الكتب بعد نسبتها لمؤلفين مشهورين كالغزالي الذي نسبت إليه زوراً وبهتاناً عدد كبير من كتب الحروز والطلاسم وهو براء منها .
2. وقد يكون السبب راجعاً للتعصب لأشخاص أو مذاهب ونحو ذلك , ومثاله : الكتاب المزور على الإمام أبي حنيفة باسم الفقه الأكبر وهو يتضمن عقيدة الماتريدية والأشاعرة .
3. وقد يكون خوفاً من العقوبة مثلما ذكر عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني لما سأله جنود الرشيد عن اسم كتاب وجدوه عنده اسمه كتاب الحيل فأجابهم : هذا كتاب الخيل ، للتخلص من العقوبة وذلك بنقطة واحدة على الحاء .
4. خطأ وجهل بعض النساخ ، وبعض محققي الكتب .

مثل كتاب تسهيل المنافع لإبراهيم بن عبدالرحمن الأزرق طبع باسم كتاب الأزرق وأنه من تأليف محمد بن ناصر بن سليمان وأن الناسخ هو سيف بن حنظل والحقيقة أن هذه المعلومات كلها خاطئة فمحمد بن ناصر ناسخ للمخطوطة وسيف بن حنظل هو من نسخ له المخطوط .

5. حب الشهرة والظهور .
6. بغض بعض الأشخاص مثل : ديوان لأحد الشعراء الأفاضل سماه بعضهم : كتاب شعر الفجار في ذم الأبرار لكونه تعرض لنقد رجل معين .

وبعضهم ألف رسالة باسم النصيحة الذهبية وزورها على الإمام الذهبي بقصد ذم ابن تيمية علماً بأن الذهبي من تلاميذ ومحبي ابن تيمية.

هنالك طرق كثيرة لكشف التزوير والانتحال فمن ذلك :-

1. معرفة التاريخ والأحداث المتقدمة والمتأخرة مثال كتاب (الإمامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة فإن ابن قتيبة توفي سنة 276هـ والكتاب يذكر غزو مدينة مراكش التي لم تبنَ إلا سنة 454هـ.
2. معرفة مناهج العلماء ومذاهبهم وعقائدهم .
3. معرفة مناهج العلماء وطرقهم في التأليف .
4. معرفة الورق والخطوط .
5. وجود الكشط والإضافة مثاله مخطوط (1461) (999) في وزارة التراث والثقافة .
6. الرجوع إلى الكتب المصنفة في معرفة المؤلفين وأسامي مؤلفاتهم.

مثل: كتاب أ) كشف الظنون لحاجي خليفه
ب) الفهرست لابن النديم
ج) الأعلام للزركلي
د) معجم المؤلفين لكحالة
هـ) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين

7. الرجوع للكتب المتخصصة في بيان الكتب المنحولة مثل :-
-- الفارق بين المصنف والسارق للسيوطي
-- كتب حذر منها العلماء . لمشهور حسن سلمان
-- سرقات الكتب وانتحالها في العصور الإسلامية لمحمد ماهر حمادة .
-- التزوير والانتحال في المخطوطات العربية للدكتور عابد سليمان المشوخي .